**المحاضرة السادسة: الرواية الرومانسية**

**1-تعريف الرومانسية :**

رومانسي رومانتيكي، إبداعي (Romantic) صفة تطلق على كلّ ما يتعلق بالنزعة الأدبية التي عاشت في أواخر القرن الثامن عشر حتّى منتصف القرن التاسع عشر، وكانت تبرز الإبداعي والتعبير الذاتي والولع بالطبيعة موضوعا للأدب ومعيارا لجدودته

ومن أسسها الفكرية الفلسفية نشدان الحرية، فإذا كان شعار البروجوازية "دعه يعمل دعه يمر" فإن شعار الرومانسية "دعه يعبر عن ذاته.""

رومانسيات العصور الوسطى حكايات مليئة بالخيال والإثارة والبطولات، ومن خصائص الفروسية السائدة في تلك الرومانسيات صفات الشرف والتودد للمرأة والإخلاص لها.

**2-البداية والنشأة :**

ساد المذهب الكلاسيكي أوربا منذ القرن التاسع عشر حتّى أواخر القرن الثامن عشر، فتمتع بسيادة طويلة الأمد لم يحظ بمثلها مذهب من المذاهب بالأدبية التي خلفته، ثم قام المذهب الرومانتيكي على أنقاضه، على يد الأدباء والفلاسفة من دعاة التجديد طوال القرن الثامن عشر، وخاصة في النصف الثاني منه، فمهدوا الطريق أمام الرومانتيكيين الخلص فيما بعد، وكانت هذه الحملات في جملتها موجهة إلى الكلاسيكية في مبادئها الفرنسية، إذ كانت هذه المبادئ أوضح ما تكون في الأدب الفرنسي ومن فرنسا انتشرت إلى أكثر الآداب الأوربية

كانت تسيطر على معظم الكتاب وعلى الشعراء خصوصا، الروح والتقاليد والأفكار والأذواق الأدبية المنبعثة في القرن السابق من أنسية عصر النهضة والتي استمرت منذ ذلك الزمن على ما هي عليه من محاكاة القدماء، فصل الفنون الأدبية، أولية العقل على الخيال، الطابع الشّخصي والجماعي والاجتماعي والأخلاقي في الأدب" ."كانت الرومانتيكية في جملتها معارضة للمبادئ الكلاسيكية كما يتضح ذلك بمقارنتها في أسسها العامة، ففي الأدب الكلاسيكي كان العقل السلطان المطلق، ولهذا وصف بأنّه أدب عقلي...، العواطف والمشاعر الكلاسيكية كانت خاضعة كلّ الخضوع للعقل الّذي لم يكن ليدع مكانا لجموع العاطفة وجيشانها فكانت الخواطر تمر في مجال التفكير لتصفى وتهذب حتّى تخرج منطقية هادفة غير مشبوهة."

قامت في إنجلترا أولا ثم في ألمانيا ثم في فرنسا ثم في إسبانيا وإيطاليا، يرجع نشوء الرومانتيكية عند كثير من النّقاد إلى ثلاثة عوامل.

**أ-العامل الاجتماعي السياسي :**

كان القرن الثامن عشر في أوربا عصر زلزلة القيم وتبدل في الطبقات الاجتماعية، واستخفافا في المبادئ القديمة، وقد صعب هذه الحال بعض التحلل الخلقي وقامت إلى جانب هذه الزلزلة (في القيم والمبادئ والأخلاق) جهود معتبرة ترمي إلى التحرر السياسي والفكري والاجتماعي، وذلك على يد الطبقة البورجوازية المناقضة في رؤاها ومبادئها للطبقة الأرستقراطية، وكانت ثمرة هذه الحركات ظهور الثورة الفرنسية إلى الوجود (1789) التي ساعدت على تدعيم حرية الكاتب بإقرار مبدأ الحرية العامة.

**ب-العامل الفلسفي :**

وتمثل في دعوات الفلاسفة واهتماماتهم الكبيرة بالفلسفة العاطفية، ورد الاعتبار (Réhabilitation) إلى النفس البشرية، ومن أهم هؤلاء الفلاسفة "لوك"(Locke) الإنجليزي و"كوندورسي" (Condorcet) الفرنسي، إذ قرر أثناء حديثهم عن العواطف أن النفس ليست سلبية بل عاملة، وأساس عملها منحصرا في الرغبة التي يثيرها القلق، وبها تتابع عواطفها وتحدد، وتتكاثر ومصدر الرغبة العاطفة

**ج-العامل الأدبي :**

وتحدد خاصة في اكتشاف "وليام شكسبير" (1564 -1616) في القارة الأوربية من طرف فولتير (Voltaire) وذلك بعد مائة سنة من وفاته، ورغم عيش "وليام شكسبير" في الزمن الكلاسيكي فقد خرج في كثير من الأحيان عن بعض خصائص الكلاسيكية كتجاوزه لقانون الوحدات الثلاث وعرضه على خشبة المسرح مناظر الحرب أو القتل والمزج بين المأساة والملهاة، وقد تأثر "فيكتور هيجو" (1802-1885) بفنيات "وليام شكسبير" المجددة، ودعا أصحابه من الرومانتيكيين إلى الاحتذاء به.

**د-المؤثرات الأوربية:**

منذ القرن الثامن عشر كانت ظاهرة العالمية أي هذا التبادل الثقافي والحضاري بين الآداب المختلفة عن طريق الترجمات وبفضل سفر الكتاب أنفسهم من بلد إلى آخر للتعرف على حضارة أو ثقافة البلاد الأخرى، كانت تلك الظاهرة في اوج ازدهارها وكان الإشعاع الفكري الفرنسي، ذا أثر عميق في كلّ أوربا، ومن ناحية أخرى كان كتاب فرنسا يبحثون عن المعرفة أينما يجدونها في إنجلترا، في ألمانيا، في إيطاليا، في إسبانيا، وحين نقف على أعتاب القرن التاسع عشر نرى أن حركة تبادل الثقافات هذه قد تعمقت أكثر فأكثر، قد علم اللغات الأجنبية وانتشار الترجمات والدراسات النقدية التي تقدم إلى الفرنسيين دور الآداب العالمية كلّ ذلك جعل تأثر الأدب الفرنسي بالأدب الأجنبي تأثرا قويا وفعالا.

**1-أثر فرنسا :**

عندما يحاول مؤرخ الأدب أن يبحث عن أول بذور الرومانسية الفرنسية فربما يدهش من أنّه عليه أن يرجع إلى منتصف القرن الثامن عشر، هذا القرن الّذي يعرف عنه أنّه عصر الفلسفة والتنوير، هذا القرن الّذي رأى ازدهار الأفكار بصفة خاصة فحوالي عام 1850 تفجر نبع من الأحاسيس الفياضة أخذت مياهه تتغلغل وسط الأفكار الفلسفية فأضفت عليها الحرارة والحماس، فبعد أن كان كتاب مثل "مونتيسكيو" و"فولتير" يؤمنون بالعقل قبل كلّ شيء ولا يستمعون إلاّ لتعاليمه وأوامره فإنّنا نرى كتابا آخرين مثل "ديدروه" و"جان جاك روسو" يعطون الأولوية للقلب أما جان جاك روسو" فنجد عنده كلّ مميزات الأدب الرومانسي: التعبير عن الذات، حب الطبيعة، والتغني بجمالها الّذي هو أقوى برهان على وجود الله، كان "روسو "لا يجد السعادة إلاّ في أحضان الطبيعة بعيدا عن قسوة الناس كان يشعر أنه مضطهد من كل من حوله وبذلك فهو في الطبيعة يجد الحماية والطمأنينة بعيدا عن رياء المجتمع وزيفه، لقد كان يؤمن أن الإنسان ولد خيرا وطيبا، ولكن المجتمع هو الّذي يفسده، فعليه أن يعيش وحيدا وسط الطبيعة كي يعيش سعيدا، وفي الطبيعة أيضا كان "روسو" يلتقي بالله-سبحانه وتعالى- فجمال الطبيعة يمجد عظمة الخالق، ولذلك كانت الطبيعة الإطار البديع لقصص الحب التي يكتبها "روسو"، بل هي تتجاوب مع

العشاق، فالشمس تشرق والطيور تغرد حين يكونون سعداء والسماء تتلبد بالغيوم، ويبكي حزنا إن افترق عاشقان أو تعذب قلبان.

أظهرت الحركة الرومانسية في فرنسا أكثر من أي بلد آخر طوابع ثورة أدبية حقيقية بما تجدد محتوى وأشكاله ومبادئه هذا الأدب الّذي غلبت فيه، بشكل أوضح في فرنسا منه في غيرها العناصر الجمالية والفنية على كلّ الاتجاهات السياسية والوطنية والدينية التي كانت الرومانسية في شطر منها تعبيرا عنها.

**2-أثر ألمانيا:**

إن أثر ألمانيا على الرومانسية الفرنسية لا يقل أهمية، إن ترجمة رائعة "جوته فرتير" نالت إعجاب القارئ الفرنسي وأصبح بطل "جوته" نموذج للشباب الرومانسي الّذي يتعذب في حبه ويندب حظه في الحياة ويتوق إلى الخلاص من آلامه وإلى الانطلاق إلى عالم آخر مثل بطل "شاتو برنان"...، وقد كان لمدام "دي ستيل" الفضل في تعريف القراء الفرنسيين بأدب وثقافة وحضارة ألمانيا، ومما ساعد ذلك ازدهار حركة الترجمة، فقد ظهر في فرنسا كتاب بعنوان: روائع المسرح العالي ترجمات لمسرحيات جوته وشيلر بجانب شكسبير وكالد يرون، كذلك ترجم إلى الفرنسية كتاب النّاقد الألماني المعروف "شليجيل" الّذي كان يقدم أيضا كتاب المسرح الألماني.

**3-أثر إنجلترا :**

أعطت "مدام دي ستيل" كتاب إنجلترا مكانة خاصة في كتابها عن الأدب وهي معجبة بصفة خاصة بشكسبير الّذي سيكون له عظيم الأثر على المسرح الروماني، إن" دوماس" و"هوجو" و"فينير" يعتبرونه أكبر كاتب مسرحي ظهر في كلّ العصور، ويفضلونه على كتاب المسرح الإغريق مثل "أسطليوس" و"سوفو كليس" و"أرييدس" اللذين كانوا المثل الأعلى لكتاب المسرح الكلاسيكي.

أما "شاتو بريان" الّذي عاش في لندن عدة سنوات عندما كان دبلوماسيا، فإنّه شديد الإعجاب ب "ميلتون" و"أرسيان"، كما أن شعراء الرومانسية الإنجليزية مثل "بابرون "و"شيللي" و"كيتس" و"وذورث" و"كولويردج" في معاصريهم من شعراء الرومانسية الفرنسية.

**4-أثر إسبانيا :**

كان هناك أكثر من نقطة تقارب بين الأدب الإسباني والرومانسية الفرنسية، عرف القارئ الفرنسي القصص الشعبية الإسبانية القديمة حين ترجمت إلى الفرنسية مجموعة هذه القصص، وهي تسمى "رومانسيرو" وكذلك قرأ ترجمة قصة "سرفانس" الشهيرة "دون كيشوت" (وقد عاش هذا الكاتب بين القرنين السادس عشر والسابع عشر).

ترتسم الحركة الرومانسية في إسبانيا حوالي 1820، لكنّها لم تتضح إلّا بدء من 1830بتأثير الرومانسية الفرنسية التي عرفت في إسبانيا على يد مهاجرين سياسيين عادوا إلى وطنهم بعد 1833 ونشروا مؤلفات كتبوها أو أعدوها في المنفى.

**5-أثر إيطاليا :**

وجد القارئ الفرنسي أثر إيطاليا في رواية "مدام دي ستيل كورين"، لقد عرفت الكاتبة الشاعرين "مونتي" و"ألفيري"، وهما من شعراء الرومانسية الإيطالية، مثل "بابرون "في إنجلترا، أما عن شعراء الماضي اللذين كان لهم عميق الأثر على شعراء الرومانسية فمنهم "دانتي" و"بترارك" (من كتاب القرنين الثالث عشر والرابع عشر) كان لا مرتين مغرما بأشعار "بيترارك"، بينما نال "دانتي" إعجاب الجميع، وهم يعتبرونه من أعظم شعراء أيطاليا والإنسانية جمعا.

جاءت الحركة الرومانسية تفي الأدب الأوربي تعبيرا عن مرحلة حضارية انتقل فيها المجتمع الأوربي من نمط من أنماط الحياة إلى نمط جديد يناقضه ويكاد يضع حدا حاسما بين عالمين مختلفين، في أعقاب الانقلاب الصناعي وحروب نابليون، وقد شمل التحول كلّ مظاهر الحياة في السياسة والاجتماع والأخلاق والمدينة والأدب والفن، وانتقل الأدب من مرحلة عرفت بـ"الكلاسيكية الجديدة" إلى مرحلة عرفها النّاس باسم "الرومانسية".

الرومانتيكيون في أدبهم لا ينشدون الحقيقة التي تواضع عليها النّاس وأقرها المنطق السائد، ومهما تكن من صلة بين أدبهم والحياة الواقعية فهي صلة الحالم المتحرر من حقائق المجتمع، ومما يقدسه ذلك المجتمع من تقاليد، لأنّه يعيش في عالم لا مادي له سوى القلب والعاطفة، فالصور الأخيلة الأصلية التي تستخدمها لغة الأحلام ولغة التنبؤ الشعري توجد في الطبيعة التي تحيط بنا، والتي تظهر كأنّها عالم من أحلام مجسمة، أو لغة نبوية تتجلى رموزها الهيروغليفية

موجودات وصور، فالحقيقة التي ينشدها الرومانتيكي ذات طابع ذاتي، أسيرة لخيال الكاتب وعاطفته المشبوبة وتتبدى في ثوب جديد ثائر، وقد لا يجحد الكلاسيكي الحقيقة الفردية، إذ يلعب الخيال والشعور دورهما في بعض أشعاره في المآسي المسرحية أو في الشعر الوجداني على قلته نسبيا في الكلاسيكية.

**المراجع:**


1-محمد غنيمي هلال: الادب المقارن، د ط، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،2004

2-بول فان تيغيم: الرومانسية في الادب الاوروبي، تر، صياح الجهيم، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق،1981، ج1.

3-دونكان هيث: الرومانسية، تر: عصام حجازي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004